

ثلاثة أقانيم مختلفة

إن الهدف من هذا الفصل هو أن نؤكد على تلك الحقيقة، التي قد تحدثنا عنها توًّا، وهي: أن الأب ليس هو الابن والابن ليس هو الروح القدس والروح القدس ليس هو الأب. إن كلا منهم هو نفسه الله. كل منهم هو الله الكامل، لكن كل منهم متفرّد عن الآخر. إن هذا الحق ليس من الصعب أن نقرّه ولكن ما يتعذر علينا، هو فهمه. عندما حاول بعض الناس أن يفهموا هذا الحق، انتهى بهم الأمر إلى أنهم أنكروه.

إن ما يحدث عادة هو أحد ثلاثة أمور:

أولها ان البعض يفهم، أن الكتاب المقدس يعلم عن أن الله ثلاثة أقانيم، فينتهوا إلى إنكار أن الله إله واحد. لقد وقعوا في شرك الاعتقاد بأن الثلاثة أقانيم ثلاثة كيانات إلهية منفصلة. وبمعنى آخر، فلقد وجدوا أنفسهم Tritheist أي يؤمنون بثلاثة آلهة.

الأمر الثاني، أن آخرين يفهمون أن الكتاب المقدس يعلم عن وجود إله واحد؛ فانكروا ألوهية الابن، وأنكروا ألوهية الروح القدس. لقد رفضوا حتى مجرد قبول هذين الأقتنومين، على أنهما الله، وبهذا يكون لهم أقتنوم واحد فقط ككيان إلهي وحيد. وهؤلاء يدعون بالـ (الموحدين أو الأريوسيين).

الأمر الثالث هو، أن البعض الآخر رأى أن الكتاب يعلم عن وجود إله واحد؛ فاعتقدوا أن الأب هو نفسه الابن وهو نفسه الروح القدس، كأقتنوم إلهي واحد. أي انه يوجد كائن إلهي واحد، يظهر في أوقات مختلفة، وبطرق مختلفة، وأن أسماء الأب والابن والروح القدس، تفسير للهيات والوظائف المختلفة لذلك الأقتنوم الإلهي.

فإذا كنا قد استوعبنا، وأما بالتعليم الذي جاء في الفصول السابقة، فإننا سندرك بسهولة خطأ الاعتقادين الأول والثاني. وقد عرفنا أن الله هو إله واحد، وعرفنا أيضاً أن كل أقتنوم من الأقانيم الثلاثة، هو الله. وبالإضافة إلى إيماننا بهاتين الحقيقتين، يجب أن

لا نتوقف عن التأكيد على أن الآب والابن والروح القدس، هم ثلاثة أقانيم، متفرّدة عن بعضها البعض. وهذا الحق سيحمينا من خطر الاعتقاد الثالث.
إن الألقاب مثل: الآب والابن والروح القدس، ليست أسماء مختلفة لأقنوم واحد، يظهر في هيئات مختلفة، وفي أوقات مختلفة. انهم أقانيم متفرّدة. ففي (يو: 12: 28) نجد الآب يقول "مجدت" وفي (يو: 17: 4) الابن يقول: "أنا"، وفي (أع: 13: 2) نجد الروح القدس يقول: "دعوتهما". فهناك ثلاثة أقانيم هم الله، وكل منهم يستطيع أن يقول عن نفسه: "أنا" بصيغة المفرد، ولا أحد منهم يقول: "نحن" بصيغة الجمع. ولكنهم يشتركون، في معرفة وقوة وإرادة غير محدودة. لذلك فنحن عندما نقول انهم أقانيم متفرّدة، فنحن لا نعني أنهم منفصلون، كل منهم عن الآخر، كما يتميز كل إنسان عن غيره من الناس. إنهم إله واحد. وبالنسبة لنا، فإن مسألة وجود الثلاثة أقانيم في كيان واحد، سر عميق؛ فلا توجد طريقة يمكن أن نشرحها بها. كل ما أعلن لنا هو: أن الثلاثة أقانيم متفرّدة "روح واحد... رب واحد... إله وآب واحد" (أف: 4: 4 - 6)، "الروح واحد... الرب واحد... الله واحد" (1كو: 12: 4 - 6)؛ فمن الواضح جداً أنهم ثلاثة أقانيم، وبالطبع هم إله واحد.

ونحن لا يجب أن نؤمن بهذا، لمجرد أنه الإيمان التاريخي للكنيسة المسيحية. إن الإيمان غير المباشر، هو إيمان غير حي. فلماذا لا نتحدث عن هذا الأمر بنفسك في الكتاب المقدس أثناء تقدّمنا في هذه الدراسة؟ إن هذا الأمر سيكون سهلاً، خصوصاً في الصفحات القليلة التالية، وخاصة وأن معظم الأجزاء الكتابية التي سنشير إليها هي من إنجيل يوحنا.

البرهان الكتابي:-

لقد رأينا في الفصل الرابع أن: الرب يسوع المسيح الابن هو الله، وأنه هو التعبير الكامل عن الله الآب (يو: 1: 18)، لكنه أيضاً أعلن أن الآب هو الذي أرسله (يو: 5: 23-24)، وأنه جاء من عند الآب (يو: 16: 28)، وإليه يعود (يو: 14: 2، 16: 28)، وأنه يقبل الوصايا من الآب (يو: 10: 18، 14: 31)، وأن الآب يحب الابن (يو: 3: 35)، وأن الابن يوجّه صلته إلى الآب ويخاطبه بضمائر مثل: "أنت" (يو: 11: 41، 17: 3، 12: 27 و28). وأيضاً نقرأ أن الآب يتحدث عن الابن بضمائر مثل: "أنت" وليس: "أنا"

(مر: 11 ، لو: 3: 22)، ثم أيضاً نجده يعطي إجابة مسموعة لصلاة الابن (يو: 12: 27 و28). انه لمن الواضح أن الأب ليس هو الابن، وأن الابن ليس هو الأب. إن ألقابهما توضح ذلك. هذا هو الحق الكتابي: أن كلا منهما هو الله، كما سبق وأوضحنا.

لكن ليس هذا هو كل شيء، فعندما نقرأ (يو: 14: 16، 26، 15: 26، 16: 13 – 15)، فإننا نتعلم شيئاً آخر. إن المعزي "الروح القدس" متفرد أيضاً عن الأب، كما أنه متفرد عن الابن. إن يسوع يطلب من الأب، لكي يرسل الروح القدس. إن الأب يرسله في اسم الابن، وإن يسوع نفسه يرسله من عند الأب. إن الروح يمجّد الابن، ويأخذ مما أعطاه الأب للابن، ويخبر به تلاميذه. وسوف نعود مرة أخرى إلى هذه الأعداد في الفصل الثامن. وهنا يمكننا أن نلاحظ أن كل عبارة في هذه الأعداد، أختيرت لتوضح أن الأب والابن والروح القدس، كل منهم متفرد عن الآخر، وأن كلا منهم ليس هو الآخر.

وبالطبع هناك المقاطع الكتابية الأخرى، التي نرى فيها بوضوح، أن الأب والابن والروح القدس، يتفرد كل منهم عن الآخر. ففي الأجزاء الأولى من (مت: 3: 13 – 4: 1) نقرأ عن حادثة المعمودية ربنا يسوع المسيح فعندما صعد من الماء، نزل عليه روح الله، وفي نفس الوقت سمع صوت الأب من السماء، ليعلن أنه هو ابنه الحبيب الذي سرّ به (مت: 3: 13). فهل هناك برهان، يوضح التفرد - الذي بين الأقانيم الثلاثة - أوضح من ذلك؟ فالأب في السماء والابن على الأرض والروح القدس نازلًا.

وفي الأعداد الأخيرة من إنجيل متى، نقرأ عن إرسالية يسوع لتلاميذه إلى العالم أجمع، أن يُعمّدوا كل من يقبل الخلاص: "باسم الأب والابن والروح القدس" (مت: 28: 19). إن الحرف "و" في هذا العدد، له دلالة كافية على أن الأب ليس هو الابن، والابن ليس هو الروح القدس، والروح القدس ليس هو الأب. ومع ذلك فوحدة الله لا تتجزأ. إن من يؤمن بالمسيح، ويقبل بشارة الملكوت، يعمّد، ليس "بأسماء"، بل "باسم"، فهم إله واحد.

ونستطيع أن نرى شيئاً مشابهاً في (2كو13: 14)، حينما يمنحهم بولس البركة الرسولية قائلاً: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم. آمين". فمرة أخرى نجد الحرف "و" يوضح لنا أنهم ثلاثة أقانيم متفرّدة عن بعضها البعض. فبالرغم من إيمان بولس بوحداية الله، نراه يصلي للثلاثة أقانيم في البركة الرسولية، ويقبل عقيدة الثالوث. ومرة أخرى نقول، إنه بالرغم من أن كلمة "الثالوث" غير موجودة حرفياً في الكتاب المقدس، لكن يمكننا أن نرى هذه العقيدة على صفحاته بكل وضوح.

كلمة أقتوم:-

وهناك كلمة أخرى، استخدمناها مراراً في هذا الكتاب، لا نراها مكتوبة حرفياً في أي من النصوص الكتابية التي درسناها. إنها كلمة "اقتوم". ونحن الآن بحاجة أن نقول شيئاً عنها. ليس من الصعب أن نجد عقيدة "الثالوث" في الكتاب المقدس، لكن الصعوبة تكمن في إمكانية التعبير عنها. إنه ليس من الصعب أن تقول إنه لا يوجد سوى إله واحد، وليس من الصعب أن تقول إن الله موجود في ثلاثة أقانيم. إن الصعوبة تواجهنا، عندما يسألنا شخص: "ثلاثة من ماذا...؟" فإنك لا تستطيع أن تقول "ثلاثة أثلاث" "Three Thirds"؛ وذلك لأن الأب ليس جزءاً من الله، لكنه الله الكامل. وكذلك الأمر بالنسبة للابن والروح القدس. ولا يمكنك أن تقول "ثلاثة آلهة"؛ لأنك حينئذ تكون قد وقعت في فخ الشرك بالله، وأنكرت وحدانية الله. لذا فماذا عسانا أن نقول عن كل من الأب والابن والروح القدس؟ فإنهم ثلاثة... في اللاهوت. لا يمكننا أن نترك هذا الفراغ الموجود بعد كلمة ثلاثة، فلا بد أن نملأه إما بكلمة مناسبة أو أن نبتكر كلمة جديدة.

لقد استخدمت العديد من الكلمات، عبر القرون المختلفة، لكنها أثبتت أنها غير وافية بحال من الأحوال. إن الكتاب اليونانيين استخدموا كلمة "hypostasis". أما الكتاب اللاتينيون فاستخدموا كلمة "persona" والتي معناها "شخص مقنّع أو شخصية في مسرحية". وأحياناً - خاصة في العصور الوسطى - استخدموا كلمة "substantia" والتي ترجمتها "وجود أو كيان".

إن استخدام العديد من الكلمات المختلفة، يبرز حقيقة أن أيًا منها ليست كافية لتقي بالمعنى المطلوب منها. أما الكلمة "اقنوم" "persona"، والمأخوذة من كلمة "persona" "شخصية"، أصبحت هي الكلمة الأكثر تداولاً، لكل من يتحدثون اللغة الإنجليزية.

لكننا يجب أن نحرص كل الحرص عند استخدامنا لهذه الكلمة، فنحن لا نستخدمها بالمعنى الأصلي، في اللغة اللاتينية المأخوذة منها. فالثلاثة أقانيم في اللاهوت، أمر يختلف عن الممثل في المسرحية، الذي يظهر بثلاثة أدوار مختلفة، أو في ثلاثة أزياء مختلفة. ولا تستخدم الكلمة "اقنوم"، المترجمة "person" أو شخص أيضاً بالمعنى المتداول الآن، فنحن نستخدمها للتعبير عن شخص منفرد له ذات وله احساس. إن الله ليس له ثلاث شخصيات منفصلة، تقف جنباً إلى جنب، ومنفصلة عن بعضها، والتي من الممكن -ولو نظرياً- أن يعمل كل منهم ضد الآخر. إن مجرد التفكير بهذه الطريقة، سيؤدي بنا إلى الشرك بالله، وعبادة ثلاثة آلهة بدلاً من إله واحد.

إننا نقصد بكلمة "اقنوم" أنه يوجد تفرّدات أقنومية داخل الكيان الإلهي، يمكنها أن تستخدم ضمير المتكلم "أنا"، وضمير المخاطب "أنت" وضمير الغائب "هو". لكننا لا نعني أن الكيان الإلهي يمكنه أن يتجزأ، أو نظن أننا أمام مجموعة من ثلاثة أفراد مستقلة. لكن كلا منهم يمكن - بطريقة غامضة - أن يقال عنه أنه في الآخر (يو17: 21). إن الله جوهر واحد لا يتجزأ. وبهذا المفهوم فإن الله إله واحد. لكن هذا الجوهر الإلهي الواحد، سرمدى (أزلي أبدي) كالأب والابن والروح القدس. وهذا يعني أن الله مثلث الأقانيم، ونحن لا نستطيع أن نتصور كيف يكون للثلاثة أقانيم فكر واحد ومشية واحدة، ولكن ما يجب أن نؤكد عليه هو أن هذا هو ما نؤمن به، ليس لأننا نستطيع أن ندركه ونشرحه، ولكن لأن هذا هو ما أعلنه الله لنا عن نفسه، في كتابه المقدس أنه: "ثلاثة أقانيم لا تتجزأ، في إله واحد عجيب".

وإذا حدث وفكرنا في الله بطريقة مختلفة عن ذلك، فسيكون لدينا صورة عن الله، مختلفة عما جاءت في الكتاب المقدس، وسوف نكون قد خلقنا إلهاً من نسيج خيالننا، وهذه هي الوثنية.

إننا جميعاً ندرك، أن فهم عقيدة الثالوث، هو أمر يفوق أذهاننا. إن مجد الله لا يمكن إدراكه. فليس هناك نظائر لما نصفه، ولا يوجد أي أسلوب، يمكن به تصوير هذا الحق. من الممكن أن يكون لديك ثلاثة أشخاص، كل منهم يختلف عن الآخر، ومع أنهم متساوون، في أن كلا منهم إنسان، إنما في نهاية الأمر، سيظلون ثلاثة أشخاص، وليسوا شخصاً واحداً. أما الثلاثة أقانيم في اللاهوت، فهم متساوون في أن كلا منهم هو الله، لكن كلا منهم متفرد عن الآخر، والعجب يكمن في أنهم بعد، إله واحد. وهذا الإله، ليس بمعزل عن الأقانيم الثلاثة. إن هذا الإله: ليس له كيان آخر، سوى الأقانيم الثلاثة لذلك الثالوث. إن كل ما يمكن أن يقال عن الله، يمكن أن يقال عن كل اقنوم من هذه الأقانيم الثلاثة؛ لأن كلا منهم هو الله. كل منهم، له الإجلال في اللاهوت؛ ولهذا فلا يمكن أن يكون أي اقنوم منهم، أعلى أو أدنى من الاقنومين الآخرين. إن كل ما يمكن أن يقال عن أي منهم، يمكن أن يقال عن الآخرين أيضاً.

ولكن يجب أن نقول، أن هناك أشياء يمكن أن يقال عن الأب، لا يمكن أن يقال عن الابن والروح القدس. وبالمثل فإن هناك أموراً، يمكن أن يقال عن الابن وحده، وأموراً يقال عن الروح القدس وحده. وفي تعريف الثالوث في إقرار الإيمان الويستمينستري الموسع مكتوب: "يوجد ثلاثة أقانيم في اللاهوت. الأب والابن والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم إله واحد حق أبدي. متساوون في الجوهر والقوة والمجد، بالرغم من اختلاف الخصائص التي يتميز بها كل اقنوم منهم". ونأتي الآن لموضوع الخصائص التي يتميز بها كل اقنوم.